سياسة العمل العبري بين الامس واليوم

عبد الحفيظ محارب

« ينبغي ان تقال الحقيقة كاملة ، بالرغم من انها تحمل بين ثناياها الالم والحزن . لقد درجنا على التباهي وقرع جميع الاجراس : « اننا » حولنا الصحراء القاحلة الى جنة عدن . « نحن » ! والسواعد هي سواعد احمد ومصطفى » .

جوردون

في أعقاب حرب حزيران ، فتح باب العمل امام عمال المناطق العربية المحتلة ، ليعملوا في الاقتصاد الاسرائيلي ، وبذلك فتح معه من جديد ملف سياسة العمل العبري ، هذا الملف بدأت سطوره الأولى في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، واخذت تكتب بغزارة في الربع الاول من القرن الحالي واستمر قائما حتى قيام دولة اسرائيل ثم أخذت سطوره تخف وتهدأ الى ان بدأت تثور وتموج من جديد في أعقاب حرب حزيران .

وقبل الوقوف على ملف سياسة العمل العبري لا بد لنا من التطرق قليلا الى موقف التيارات الاسرائيلية من قضية العمل العربي في الاقتصاد الاسرائيلي في الوقت الراهن باعتبار ان العمل العربي يشكل النقيض للعمل العبري .

يخطىء من يتوهم بأن التيارات السياسية المختلفة في اسرائيل راضية تماما عن وجود أكثر من ٥٠ الف عامل عربي في الميادين الاقتصادية المختلفة في اسرائيل ، فبالرغم من قدرة الاقتصاد الاسرائيلي على استيعاب عدد من العمال اكبر من هذا العدد ، وبالرغم من الفائدة العائدة اليه من جراء فائض القيمة التي تدرها الايدي القوية الرخيصة المستغلة ، يبقى الرضى مشفوعا بنقيضه ، ويعود ذلك الى عاملين اساسيين كانا ولا يزالان يتحكمان في المسلك العام لمجتمع المهاجرين والمستوطنين (١) شهوة التوسع (٢) شهوة الحفاظ على نقاء او صفاء المجتمع اليهودي في « دولة اليهود » ، وهذا ما يفسر لنا الطبيعة التوسعية الاجلائية التي يتسم بها الكيان الاسرائيلي ، بيد أنه ينبغي أن لا يغيب عن البال ان هاتين الشهوتين تتخللهما رغبات صعبة ومتناقضة ، فشهوة التوسع ترافقها رغبة في أن تكون المناطق خالية من السكان الاصليين . وبما ان ذلك ليس أمرا متوفرا ، فان الرغبة تتمثل في ترحيل هؤلاء السكان ، الا ان ذلك يعتبر صعبا بسبب الظروف الموضوعية كما أن شهوة الحفاظ على نقاء المجتمع الاسرائيلي وصفائه تتنازعها رغبة اخرى تتمثل في تسخير السكان ضحايا الشهوة الاولى، للعمل في المجالات الاقتصادية المختلفة .

ان التناقض القائم بين المحافظة على النقاء ، وبين الرغبة في التسخير كان وراء المواقف المتباينة للتكتلات السياسية والتجمعات الاقتصادية في اسرائيل تجاه قضية تشغيل العمال العرب ، ولعل ظاهرة العمال الزراعيين العرب الذين يعملون في المستوطنات الاسرائيلية خير دليل على ذلك ، فقد حدث صراع بين السلطات الاسرائيلية من جهة (تهيمن عليها شهوة المحافظة على النقاء بيد أنها تسعى من وراء تشغيل العرب الى